مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (2)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (2) 2018

العدالة بوصفها حباً
دراسة هيرمونطيقية لمفهوم الحب المسيحي عند بول ريكور

الدكتور منذر شباني *

(تاريخ الإيداع 18 / 2 / 2018. قبل للنشر في 22 / 4 / 2018)

□ ملخّص □

يسعى الفيلسوف الفرنسي بول ريكور في" الحب والعدالة" إلى تقديم فهم جديد لمفهوم العدالة، من خلال ارتباطه بالحب، متجاوزاً بذلك المفهوم التقليدي المتمثل في العدالة التوزيعية؛ هذا المفهوم الذي وجد فيه ريكور مفهوماً عاجزاً عن إنهاء الصراع الاجتماعي، وبخاصة الفئات المهمشة والمقصية والمستبدة. فحاول تقديم فهم جديد للعدالة من خلال إبراز علاقتها بمفهوم الحب. انطلاقاً من ذلك يعرض هذا البحث بداية مفهوم العدالة كما حدده ريكور، ثم يناقش التباين بين سمات كل من الحب والعدالة وفقاً للجدلية التي اقترحها بول ريكور، والتي ستتيح ايجاد علاقة يمكن من خلالها إقامة العدل من خلال استعادة القدرة على الحب. وتالياً، النظر إلى الحب على كونه أكثر من مجرد نزوة فردية، وإنما هو قدرة ايتقية قادرة على تحقيق المصالحة بين السعادة والواجب. ليخلص إلى نتائج أردناها مكثفة تسمح بفتح أفاق جديدة أفضى إليها البحث.

الكلمات المفتاحية: العدالة ـ الحب ـ التأويل ـ الهيرمونطيقا ـ العدالة التوزيعية.

* أستاذ مساعد، قسم الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (2)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (2) 2018

Justice As Love Hermionitic Study of the Concept of Christian Love in Paul Riccor

Dr . Monzer Shbani*

(Received 18 / 2 / 2018. Accepted 22 / 4 / 2018)

□ ABSTRACT □

Paul Riccor, the French philosopher, aims in "Love and Justice" at presenting a new concept of justice, via its relation with love, leaving behind the traditional concept manifested in distributive justice; this concept which was established by Riccor unable to put a finale to the social clash, especially the oppressed and marginalized groups. Hence, he tries to present a new concept of justice via tackling its relation with love. Therefore, this research presents at first the concept of justice as it was presented by Riccor, then proceeds to discuss the discrepancy between the traits of love and justice in accordance with the controversy suggested by Paul Riccor, which will enable us to find a relationship through which justice can be established via gaining back the ability to love, then looking at love as more than a mere individual whim; love as one ethic power capable of making a compromise between happiness and duty. Finally, the research ends up with quite accumulative consequences capable of creating new horizons due to this research.

Key Words: Justice, Love, interpretation, Hermionitics, Distributive justice.

* **Associate professor, Department of philosophy in the Faculty of Arts and Humane Science – Tishreen University, Lattakia, Syria**

مقدمة:

يبدو أن مفهوم العدالة يمثل مشكلة مأزومة في العصر الحالي بحسب ريكور. فمع عصر الاكتئاب العالمي والخوف من المستقبل، وازدياد القلق حول توفير حياة اجتماعية كريمة تحقق العدل والمساواة للجميع. كان لا بد من تقديم رؤية جديدة لمفهوم العدالة يتجاوز المفهوم التقليدي والمتمثل في الفكرة التوزيعية للعدل، والمهدد دائما بالسقوط على مستوى الممارسة؛ أي في مستوى المنفعة؛ وفي معنى أعطي لكي تُعطى بحسب ريكور. وتالياً، إذا كانت العدالة مرتبطة بقيم محددة وبالعنف، فيجب التحقق من فكرة إيجاد رؤية كلية واحدة من قواعد العدالة من أجل الحفاظ على السلام الاجتماعي. الأمر الذي اقتضى وفقاً لريكور اللجوء إلى التأويل الذي يسمح بفهم جديد للعدالة، يتناسب مع وضع الإنسان الحديث؛ وذلك عبر استعادة فلسفية لمفهوم الحب.

الحب الذي كان في البدء ذو نزعة ايروسية مرتبط بحقلي الشعر والادب، إلا أن ريكور يطرحه هنا بوصفه موضوعة اتيقية سياسية بامتياز، فالحب هو موضوع فلسفي عميق. وتالياً، يمكن للعدالة أن يعبَّر عنها من خلال الحب، الحب بما هو المستقبل الذي يسمع انين كل المهمشين والمعذبين والذي تركتهم حسابات السياسيين خارج أي اهتمام. إلا إن ظلال الحب أصبحت تؤرق الجميع وهذا ما يظهر لنا في الدعوات الفلسفية الراهنة لاستعادة القدرة على الحب، ومنهم بول ريكور إذ ذهب للبحث فيه كموضوعة للتأويل الذي يحول الحب إلى أكثر من حالة أو نزوة فردية؛ إنما هو قدرة ايتقية على تحقيق المصالحة بين السعادة من جهة أولى، وبين العدالة كتطبيق صوري للقوانين والعدالة التوزيعية كشكل من الانصاف والتكافل الاجتماعي من جهة أخرى .

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من ضرورة إعادة دراسة مفهوم العدالة؛ هذه العدالة التي أصبحت في خطر في ظل العلاقات النفعية المهيمنة على المجتمع الحديث. وضرورة دراستها دراسة هيرمونطيقة تأويلية جدلية، وتالياً البحث في علاقتها بمفهوم الحب وإمكانية تتبع ارتباطهما معاً من خلال الأبعاد الدلالية العميقة لكل منهما داخل التراث المسيحي والتراث العالمي الإنساني على نحو يشرح العلاقة الجدلية بينهما.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الغوص في موضوع العدالة وارتباطه بفعل الحب، بعد أن لم يعد الحب في عصر الاكتئاب العالمي كما يرى ريكور مجرد حقلاً ايروسيا وموضوعاً لاستعارات الشعراء والأدباء، بل أصبح موضوعة اتيقية سياسية بامتياز، إضافة إلى ذلك فإن البحث يمعن في تتبع الدعوات الجديدة الهادفة لإحياء الحب وإخراجه من حيز النزوات الفردية والبحث فيه بوصفه قابلاً للتأويل، وبوصفه اقتداراً كونياً يعيد اختراع الحياة وينعش المصالحة بين السعادة والواجب.

منهجية البحث:

يبدو منهج التحليل اللغوي النصي منهجاً مناسباً إلى حد كبير للبحث والتقصي فيما نحن مقبلون عليه، خصوصاً وأن مفهوم العدالة في بحثنا هذا يتم تناوله بعيداً عن أشكال البحث الكلاسيكية في الفلسفة وإنما من خلال

التقصي الدلالي وعلاقته في الحب أيضاً من المنظور نفسه، وكذلك فأن البحث في العدالة لغوياً ونصياً اقتضاه طبيعة النصوص التي قدّمها ريكور حول هذه المسألة وهذا لا يعني أننا قد لا نلجأ إلى مناهج أخرى كلما اقتضت الحاجة، وعلى رأسها المنهج الوصفي الذي يرافق غالباً البحوث اللغوية والدلالية.

ـ النتائج والمناقشة:

أولاً: مفهوم العدالة:

مع التطور التقني والعلمي الذي وصل إليه العصر الحديث بحيث دخل مفهوم العدالة أزمة فكرية وتطبيقية. فإذا كانت العدالة مرتبطة بقيم محددة أخلاقيةـ اجتماعية وبالعنف والظلم، أصبح لابد من البحث في امكانية إيجاد فهم آخر للعدالة من أجل الحفاظ على السلم الاجتماعي. ووفقاً لذلك، يلاحظ ريكور أن هذا المفهوم يرتكز تاريخياً على دعامتين أساسيتين: التوزيع والمساواة. أي، أرتبط بفكرة توزيع الحصص للثروة بين المواطنين، وردع كل ظلم يلحق بأي فرد من أفراد المجتمع، فشكَّل بذلك الأساس الأكثر صلابة للدولة والأمن الاجتماعي. غير أن هذه الرؤية لمفهوم العدالة ظلت فكرة نظرية إلى حد كبير ويكتنفها الكثير من الغموض، خاصة وأن ريكور يذهب إلى التأكيد على أنه "ليس هناك من عدالة مطلقة، مهما كانت هناك من نظريات اقتصادية متباينة" [1]. وتالياً، فالحديث عن عدالة مطلقة يعادل القول عن حالة عدم وجود معاناة ظالمة وعدم الحاجة للعقاب، إضافة إلى ذلك. فإنه إذا كانت قواعد العدالة بحسب ريكور" تعبير عن قيم محددة، فإن هذه القواعد ليست كلية لأن هذه القيم من الممكن أن تتعارض مع قيم هامة مختلفة على حد سواء"[2].بمعنى آخر، أن القيم التي تقوم عليها العدالة تتطور، وتتغير بحسب الأزمنة التي بدورها لا تسير على وتيرة واحدة. وبهذه الحالة فالعدل على مستوى الممارسة خاضع للتغير أيضاً . خاصة وأن ريكور يؤكد على أن الطبيعة البشرية عامة والمشاعر الإنسانية خاصة غير معصومة ومعرضة للخطأ. ومن هذا الكلام، تغدو العدالة مرتبطة ببعدين أساسيين: "العدالة الشخصية والتي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعنف، حيث تعبَّر عن روح الانتقام. كما تقترح عبارة " العين بالعين" على سبيل المثال، والذي تأخذ هنا معنى الانتقام الشخصي والمستعجل. والبعد الثاني: العدالة غير الشخصية، والتي تدل على الشكل القانوني والمؤسس للعقاب"[3]. وتتضمن ممارسة السلطة على الأخرين بحسب ريكور .

وبناءً على ذلك، فقد ذهب ريكور في مؤلفه الحب والعدالة إلى تحليل مفهومي التوزيع والمساواة اللذين يشكلان الدعامتين الأساسيتين لمفهوم العدالة بمعناه التقليدي. فلاحظ أنه ليس هناك مساواة بين الجميع. وتالياً، لا يوجد عدل بالمطلق. فميز داخل مفهوم المساواة نفسه بين مستويين" المساواة العددية في الحقوق، والمساواة النسبية في الامتيازات والمسؤوليات ضمن توزيع غير متكافئ"[4]. ثم لاحظ أن هذا المفهوم نفسه ـ أي المساواة ـ يومئ بالوقت ذاته إلى لفت الانتباه إلى أن مفهوم المساواة لا يعني فقط المساواة في الحقوق، بل يتجاوزه إلى عدم مساواة في الحظوظ، هذه الأخيرة أيضاً تؤكد على نفي القول بوجود عدالة مطلقة، حيث تشير من جهة أولى إلى الظلم بين البشر، ومن جهة أخرى إلى نوع من عدم التماسك الاجتماعي. لذلك يؤكد ريكور أن التماسك الاجتماعي لا يمكن أن يتحقق إلا في حال تكامل نوعي المساواة؛ أي المساواة في الحقوق مع المساواة في الحظوظ. وفي هذا الصدد يقول:" إن المساواة في الحقوق، إذا ما اكتملت بالمساواة في الحظوظ، هي بالتأكيد مصدر من مصادر التماسك الاجتماعي"[5].

---

[1] ـ ريكور، بول. *الحب والعدالة* . ط1، ت: حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2013، ص.9.

[2]-- The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evil,p.40 . Dierckxsens, Geoffrey

[3]- ibid.p.35

[4] ـ ريكور، بول. *الحب والعدالة* . (مصدر سبق ذكره)،ص.43.

[5] ـ المصدر نفسه. ص.43.

ووفقاً لذلك، فقد رأى ريكور أنه وعلى الرغم من أن هناك رؤيتين لتعريف هذا المفهوم تاريخياً؛ التعريف التقليدي الذي نجده لدى كل من هوبز وكانط وروالز وهو القائم على نوع من اللانفعية المتبادلة بين المتعاقدين" أي تخصيص الحقوق والواجبات في مؤسسات المجتمع الأساسية وتحديد التوزيع المناسب لمنافع وأعباء الشراكة الاجتماعية" [1]. أما التعريف الثاني فيقوم على نوع من الإقرار بتبعية متبادلة تجعل من العدالة في علاقة بضرب من التضامن الاجتماعي ازاء أشكال اللاعدالة السائدة في العالم وهو أيضاً تعريف العدالة كإنصاف. إلا إن هذين التعريفيين لم ينهيا برأي ريكور الصراعات الاجتماعية وبخاصة صراع الفئات المهمشة والمقصية والمستبدة، ومختلف الجماعات التي تعتبر قاصرة وتابعة والتي تبحث عن حياة اجتماعية كريمة. وتالياً، فإن مختلف أشكال النضال والصراع التي يخوضها الأفراد والجماعات عبر العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية باسم حركات التحرر الوطني إلى حركة الأقليات بعد الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفيتي ما هو إلا محاولات للوصول إلى تحقيق حلم العدالة المنشود. من هنا لاحظ ريكور بأنَّ العدالة "ليست شيئاً آخر غير هذا الشكل من الوحدة في حركة الأجزاء، وهي تتضمن بالأساس أن يصبح التعدد واحدا"[2].

ومن هنا فقد ذهب ريكور إلى تأويل مفهوم العدالة واسترجاعه هيرمونطيقيا وذلك عبر استعادة فلسفية لمفهوم الحب، وليؤكد على أنَّ العدالة يمكن أن يعبّر عنها بواسطة الحب، فالحب بحسب ريكور" يخرق الحواجز، ولا يقبل أن يتجمد العدل عند ما هو عليه في معنى معين. الحب هو المستقبل الذي يسمع أنين كل المهمشين والمعذبين والذين تركتهم حسابات السياسيين خارج أي اهتمام" [3]. وتالياً، فأن فكرة العدالة بمعناها التقليدي تبقى مهددة "دائماً بالسقوط رغماً عنها في مستوى معاملة المنفعة وفي معنى أُعطي لكي تعطى" [4]. فالحب هنا هو حارس للعدالة ويحميها من تلك العادة السيئة التي تتم عبر الجهر بمقولة أعطيك لأنك أعطيتني بحسب ريكور.

ومما سبق نستطيع القول إن ريكور قد أكد على مسألة مهمة وهي أن العدل لا يمكن اختزاله إلى مفهوم العدل التوزيعي للخيرات المادية، وإنما هنالك جوانب أخرى في حياة الأفراد والجماعات يجب أن تعامل معاملة عادلة لذلك يؤكد ريكور على " استحالة إنشاء تصور حسابي فقط للعدالة التوزيعية. فالتصور الحسابي الخالص لا يعمل على جميع الأصعدة، ولا يُغطي الحقل الاجتماعي برمته" [5]. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على إن فكرة العدل لم تعد منحصرة في المجال النفعي للخيرات، أي في عدالة توزيعية للثروة كما ذهب روالز الذي أكد على إن المبدأ الأول للعدالة هو المساواة أمام القانون لأنه وبحسب ريكور" معظم المشاكل الاجتماعية والسياسية تكمن في ضرورة وجود توزيعات غير متساوية" [6]. وكمثال على ذلك، السلطة، التي لا يمكن توزيعها بصورة متساوية لتظل مشكلة العدالة موجودة باستمرار في سؤال هل توجد توزيعات أكثر عدلاً، أو أقل ظلماً من أخرى. لذلك أخذ هذا المفهوم يمتد ليشمل الجوانب الأخلاقية والرمزية للإنسان.

---

[1] - رولز، جون. *نظرية في العدالة*. ت: ليلى الطويل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص.9.

[2] - ريكور، بول. *فلسفة الإرادة الإنسان الخطاء* . ط2،ت: عدنان نجيب الدين ، المركز الثقافي العربي، 2008، ص.34.

[3] - ريكور، بول. *الحب والعدالة*. (مصدر سبق ذكره)،ص.9.

[4] -المصدر نفسه. ص.20.

[5] - ريكور، بول. *الاعتقاد والانتقاد* ، ط1، ت: حسن العمراني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، 2011،.ص.35.

[6] - المصدر نفسه.ص.35.

ثانياُ: سمات الحب وسمات العدل:

قد يكون الحديث عن العدل من خلال علاقته بالحب أمراً صعباً بحسب ريكور، وذلك لاختلاف طبيعة وموضوع كل منهما، والذي من المفروض ألا يلتقيا في ثنائي واحد. من حيث إن الحب يرتبط بالشعور والعاطفة، والعدالة ترتبط بالقوة والقانون. الأول أقرب إلى الشعر والحلم فقط، وتالياً فهو عطاء بلا حدود. في حين أن العدالة ميزان وشهود. المحب لا يملك غير حلم صغير، أما صاحب العدالة يملك الواقع كله. ومن خلال ذلك فقد حاول ريكور شق منفذ بين هذين الحدين يكمن في" الاسترشاد عبر فكر تأملي بالجدلية القائمة بين الحب والعدالة" [1] وما يقصده ريكور هنا بالجدلية ليس بمعناها الديالكتيكي؛ أي الجدل بين طرفين يولد طرف ثالث. وإنما الاعتراف أولاً بالتباين بين المفهومين ومن ثم البحث عن نقطة التقاء يرتكز عليها كلا المفهومين(الحب والعدالة) لتحقيق المصالحة بينهما.

ومن هنا يذهب ريكور إلى تحديد ثلاث سمات أو ما يسميه غرابة أو شذوذ للحب من حيث إن أولى هذه الغرابات تخص خطاب المدح حيث إن "كل خطاب في الحب يبدو خطاب مدح. ابتهاج ونظر واعلاء من شأن المحبوب"[2]. ومثل هذه الخطابات على قرابة عميقة بالتراتيل أو التمجيد أو التطويبات من قبيل" طوبى للإنسان الذي لا يسلك بمشورة الشريرين... إنه مثل شجرة مغروسة عند مجرى الحياة" [3]. في حين أن الغرابة الثانية تتعلق بحسب ريكور بالاستعمال الغامض لصيغة الأمر في التعبيرات المشهورة في القول" أحبب الرب إلهك وأحبب قريبك كنفسك" [4]. لكن بحسب ريكور أن تحويل وصية مقدسة إلى مجرد حالة شعورية بعد التأسيس الأخلاقي الحاسم للواجب مع كانط إنما يعتبره ريكور نوعاً من الفضيحة. ذلك أن وصية الحب المقدسة هذه تملك من المشروعية الأخلاقية الكونية ومن القيمة التأويلية أكثر من مجرد نزعة شعورية فردية. فيذهب ريكور إلى التأكيد على أن الحب قوي كالموت وهو بذلك يمكن أن يكون طريقاً للخلاص فيرى أن وصية الحب المقدسة " لا تعتبر قاعدة اخلاقية بقدر ما تعتبر الكلمة نفسها التي تسبق كل قانون وهي التي تتجسد في نداء المحب" أحببني" فيتعلق الأمر عنده بنوع من الاستعمال الشاعري لهذه الوصية مختلف تماماً عن الاستعمال الاخلاقي. فالوصية الالهية تشير إلى الحب ذاته وقد احتمى بنفسه" فالحب موضوع وذات الوصية في آن واحد" [5]. أما شكل الغرابة الثالث في خطاب الحب فهو يندرج تحت راية الحب بوصفه شعوراً ويتعلق الأمر" بالقوة الاستعارية لترنيمة الحب حيث يضفي النداء الملح أحببني الذي يتوجه به المحب للمحبوب تلك الدينامية التي بفضلها يصبح قادراً على حشد تشكيلة منوعة من المشاعر التي نحددها من خلال حالاتها النهائية: اللذة مقابل الألم، الرضا مقابل السخط، الابتهاج مقابل البؤس، السعادة مقابل السوداوية"[6].

وبعد أن يحدد ريكور سمات الحب ينتقل إلى تناول سمات العدالة فيحدد حالات العدالة ومناسباتها وقنواتها وحججها انطلاقاً من بحثه في العدالة على مستوى" الممارسة الاجتماعية حيث يتماهى مع منظومة العدالة التي تنظم استعمالنا هنا للمحمول العادل المطبق على بعض المؤسسات"[7]. فالعدالة في جوهرها بحسب ريكور هي نشاط تواصلي، تواصلي، فنحن" نكون أمام العدالة حينما تكون هيئة عليا مدعوة للحسم بين ادعاءات أطراف ذوي مصالح أو ذوي حقوق متعارضة"[8]. وعلى الرغم من صورية مفهوم العدالة بوصفها ممارسة حقوقية محضة فإن ريكور يكشف عن توتر

---

[1] - ريكور، بول. *الحب والعدالة*. (مصدر سبق ذكره)، ص.27.
[2] - المصدر نفسه. ص.27.
[3] - المصدر نفسه. ص.28.
[4] - المصدر نفسه .ص.28.
[5] - المصدر نفسه. ص.32.
[6] - المصدر نفسه .ص.34.
[7] - المصدر نفسه .ص.38.
[8] - المصدر نفسه .ص.38.

توتر هذا المفهوم وتعدد دلالاته بما هو مفهوم يتأرجح بين ما هو خير وما هو قانوني؛ أي بين ما هو أخلاقي وما هو سلطوي. ومفهوم السلطة هنا ومن خلال علاقته بفكرة العدالة يحيلنا إلى الحديث عن مفهوم التحمل الذي يضعنا بحسب ريكور على عتبة فكرة العدالة. من حيث إن العدالة تمتلك القدرة على فرض ارادتها على الأفراد الخاضعين، وتحميلهم المسؤولية وتالياً ارتباطها بالعقاب، تبقي رواسب العنف ضمن هذه الممارسات للعدالة. ومفهوم التحمل يعني أن" يقع المرء طوعاً أو غصباً عنه تحت قدرة تصرف آخر، شيء معين، تصنع لأحدهم عن طريق أحدهم، والتحمل يصبح معاناة والمعاناة تبلغ حدود التألم" [1]. و هنا يكشف التألم آلية العدالة في ممارسة السلطة على الآخرين، وتالياً العنف. وفي هذه النقطة بالذات تمتد نظرية العدالة من الناس المتصرفين إلى الناس المتألمين. وتالياً، فإن هذا المفهوم على علاقة من جهة أولى بالسلطة من حيث إنها أمر يمارسه أحدهم على الآخر، وبالعنف من جهة أخرى بما هو تحطيم يقوم به واحد على الآخر تتيح مقدرة التصرف للذات الفاعلة وهذا ما يقودنا إلى فكرة العدالة" بما هي قاعدة تستهدف المساواة بين المعانين والفاعلين الحقيقيين للعمل. وفي الحقيقة فإن كل عمل له فاعلون ومنفعلون" [2]. فمفهوم العدالة بحسب ريكور" لا يعارض العنف فقط بحد ذاته، بل محاكاة العدالة الناشئة عن الثأر، وفعل تحصيل العدالة من قبل الشخص نفسه"[3]. بمعنى اخر تعد العدالة شكل مؤسس للعنف، حيث إن العدالة والعنف يتضمنان فرض السلطة. ومن هنا يرى ريكور أن مفهوم العدالة ليس مفهوماً ثابتاً، بل إنه قابل للتغيير وللصيرورة دائماً، لأنه خاضع للمحاججة. وتالياً، " فالهجوم الذي تمارسه الحجج هو، بمعنى من المعاني، هجوم لا حدود له، على اعتبار أن هناك دائماً وجوداً ل (لكن..)، ومثال ذلك الطعون واللجوء إلى مؤسسات عليا" [4] وبناءً على ذلك يلاحظ ريكور إن مفهوم العدالة لا يتوقف على الحالة الاحتجاجية فقط، بل يتجاوزه إلى حالة اتخاذ قرار. وهنا تقع المسؤولية على من يملك موقع ممارسة العدالة، فالقرار هنا ليس فقط" حاملاً لميزان العدالة فحسب، وإنما حاملاً لسيفها أيضاً"[5].

ومن هنا وبعد أن حدد ريكور سمات كل من الحب والعدالة انطلاقاً من الجدلية التي اعتمدها يغدو السؤال، كيف سيواجه هذا التعارض بينهما؟ وهل ثمة من حب عادل أم أن كل حب إنما هو في جوهره حب ظالم على نحو ما؟ هنا ومن أجل حل هذه الإشكالية لجأ ريكور إلى التأويل ليؤكد أنه في عالم التأويل يمكن أن يغيّر الكاتب أو المبدع أو الفيلسوف الواقع الذي نعيشه أو العالم الذي يلفنا، ومن ثم إعادة صياغته من جديد. ويؤكد ريكور على قدرة الحب على استعادة العدل تأويلياً. وتالياً، النظر إلى الحب على كونه أكثر من مجرد نزوة فردية، إنما هو قدرة اتيقية قادرة على تحقيق المصالحة بين السعادة والواجب.

ثالثاً: العدالة مقام للتواصل: استعادة القدرة على الحب:

انطلاقاً من الجدلية التي اقترحها ريكور، والمتمثلة في تحديد التباين بين سمات كل من الحب والعدل، وجدنا أن حقل كل منهما ينطلق من قاعدة متمايزة. من حيث إن في الحب لم تكن العلاقة بالممارسة تحظى بالاهتمام على عكس خطاب العدالة الذي هو نشاط وممارسة. فإن النتيجة العامة لهذا التباين بحسب ريكور هي أن" كل من الحب والعدالة يتوجهان إلى الفعل، كل واحد منا يجسده على طريقته، ذلك الفعل الذي يطالب به كل واحد" [6]. وتالياً، فالصعوبة هنا تكمن في الحديث عن قطب الحب. الحب الذي وجدت به حنة ارندت" ظاهرة نادرة في واقع الأمر في

---

[1] -ريكور، بول، *الذات عينها كآخر*. ت: جورج زيناتي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005،ص.321.

[2] - المصدر نفسه، ص.321.

[3]- The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evil,p,37. . Dierckxsens, Geoffrey

[4] - ريكور، بول. *الحب والعدالة*.(مصدر سبق ذكره)، ص.39.

[5] - ريكور، بول، *الحب والعدالة*.(مصدر سبق ذكره)،ص.39.

[6] - المصدر نفسه. ص.44.

الحياة البشرية"[1]. بحيث يكون مطابق لقانون ما، والحال أن من يهب القانون هو الواجب، لذلك فالرهان هو بيان كيف أن الحب ليس اعتباطياً، وإنما يتوافق مع نمط خاص من القانونية لابد من استكشافها. ونحن نعرف منذ الآن أنَّ مفهوم العدالة يتضمن صفتي الخير والشر. وبحسب ريكور، يرتبط الحب بالعدالة من "حيث إن كلاهما علاقات لإدراك الآخرين: الإدراك الشخصي بوساطة المودة في علاقات الحب، وإدراك الأخرين كأفراد متساويين بالحقوق في علاقات العدالة"[2] ومن هذا الكلام نلاحظ أن ريكور يشدد على بعد ايتقي لمفهوم العدالة. لذلك يقترح تعريفاً لكلمة ايتقيا في كتابه بعد طول تأمل بأنها " الرغبة في الحياة الكريمة، مع الأخرين ولأجلهم، في مؤسسات عادلة" [3]. فهذا التعريف يتضمن ثلاثة عناصر اساسية وهي: الحياة الكريمة، ومعية الآخر، إضافة إلى المؤسسة العادلة. وتالياً، فالرغبة في الحياة الكريمة ستصطدم بالعنف بكل أشكاله، العنف الذي يمارسه الإنسان على الآخر من أجل تحقيق مصالحه الخاصة، دون الانتباه إلى القيمة الاخلاقية التي تربطه بالآخر، إضافة إلى العدالة التي تميل بشكل واضح لاضطهاد الاقليات. ومن هنا يناقش ريكور فكرة الحب كعلاقة للسلام التي ترتبط بآلية إدراك العدالة. فالحب هو حالة سلام وجزء من الحياة السليمة بينما تتضمن العدالة بالمعنى المؤسساتي على الأقل، النزاع الذي تعارضه حالات السلام، وتالياً فهي تعبير عن صراع. ومن خلال علاقتها بفعل الحب المؤسس للسلام الاجتماعي، ولأجل ذلك، وقع التحريم الالهي لا تقتل، لا تكذب...الخ.

هنا يتوجب علينا أنْ ننوه إلى فكرة أساسية عند ريكور فمن أجل تأويل مفهوم الحب. يوافق ريكور على الرأي الكانطي الذي يرى أن مهمة الدين، أن يؤسس في النفس الفاضلة قدرتها على ممارسة الفعل وفقاً لأخلاق الواجب. أي أن ريكور يؤكد على غرار كانط أن الشخصية الكونية لمعايير أخلاق الواجب كونية إلى حد ما، حيث تحدد هذه المعايير من خلال منطق العقل الذي يعد كليا، أي أن هذا المنطق مفهوما لكل البشر الذين يملكون القدرة على التفكير. وتالياً فأخلاق الواجب تتيح لنا القدرة على فعل الحب والتشبه بالإله. وبعبارة ريكور، فإن" الواجب من حيث التشبه بالإله، نموذجنا وصانعنا، وأن نهب ذواتنا. إذ كان الإله هو الذي يهب ذاته"[4]. لذلك فإن الأمر يتعلق هنا بالذات بالذات المقتدرة التي لديها استعداداً لممارسة ووهب الحب. بالإضافة إلى ذلك، فإن "حافز الفعل وفقاً لمعايير أخلاق الواجب هو سبب عملي يعد مشتركاً من حيث المبدأ لكل الكائنات العقلانية"[5]

ومن هنا ينطلق ريكور في معالجة العلاقة بين الحب والعدالة التي كان ينظر إليها عبر التاريخ على إنها علاقة افقية/ تبعية وهيمنة؛ إي من حيث إنه يجب قبول العدالة ومحبتها، في حين أن رفضها يؤدي إلى رفض السلطة العليا. وهنا لابد من الإشارة إلى فكرة مهمة وهي أنه إذا كان الحب لا تحده سلطة ولا قانون وهو نوع من السلام والطمأنينة، فيما العدالة على عكس ذلك، كيف يمكن ربط الحب بالعدالة؟ وللإجابة عن هذا السؤال فقد رأى ريكور أنه من خلال التأويل يمكن إعادة صياغة الواقع الذي نعيشه أو العالم الذي يلفنا. وتالياً، فعالم التأويل يتيح للذات القدرة على الممارسة والحب بآن معاً. وإنها رغم" البنى التي تعيشها في عالم السيمياء تستطيع أن تعيد صياغة حقيقتها، وأن تتحكم في واقعها" [6]. وبهذا المعنى، نجد أن ريكور قد وجد في ترنيمة الحب التي أوصى بها الكتاب المقدس، والتي

---

[1] - ريكور، بول. . *الذاكرة، التاريخ، النسيان*. ط1، ت: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2009، ص.76.

[2]- The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evi.p,40.l. Dierckxsens, Geoffrey

[3] - ريكور،بول. *بعد طول تأمل*. ط1،ت: عمر مهبيل ، منشورات الاختلاف، 2006،ص. 110.

[4] - ريكور، بول. *بعد طول تأمل*. ط1،ت: عمر مهبيل ، منشورات الاختلاف، 2006،ص. 118.

[5]- The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evil,p.34 . Dierckxsens, Geoffrey

[6]- ريكور، بول. *داكرة،تاريخ، نسيان*.(مصدر سبق ذكره) ص.9.

تقول:" أحبُّوا أعداءكم، وأحسنوا إلى مبغضيكم، باركوا لأعينكم، وصلّوا لأجل الذين يسيئون اليكم" ومن القاعدة التي تقول:" بأن نصنع بالآخر ما نُحب أن يصنعه بنا" [1]. الفكرة الاساسية التي يمكن من خلالها أن تفهم العدالة بوصفها حباً. ومما تجدر الاشارة إليه أيضاً أن ريكور ينبه إلى فكرة عدم المساواة بين كل من الفعل ومن يتلقاه، وهذا ما يبقي احتمال انحراف الممارسة باتجاه الشر قائماً حيث يذهب ريكور في كتابة فلسفة الارادة الإنسان الخطّاء إلى القول " إن فعل الشر هو فعل ايلام الآخر، والعنف لا يكف عن إعادة الوحدة بين المعنى الأخلاقي للشر والتألم"، حيث يؤكد ريكور، لأن هناك شر، يجب أن يكون هدف الحياة الحسنة الجيدة خاضعاً لاختبار الالزام الأخلاقي " [2] لذلك حاول إيجاد طريقاً ثالثاً لمعالجة هذا الثنائي الغامض، من أجل الوصول إلى التفكير والعيش في نطاق الجماعة الإنسانية الواحدة، فقد طور مفهومين آخرين مرتبطين بالأبعاد الدلالية لمفهومي الحب والعدالة وهما: منطق العطاء الفائض ومنطق التعادل الدقيق"[3]. وبهذا المعنى الجديد الذي أعطاه لمفهومي الحب والعدالة فقد سعى ريكور إلى التوفيق بين وصية الحب التي تنص على محبة الأعداء وقاعدة العدالة التي تنص على معاملة الناس بالمثل، وبهذه الحالة تبدو وصية الحب، وصية فوق أخلاقية من حيث إنها تتجاوز النفعية وتعلو على الحقد أو الشر. لذلك فالمطلوب هو العثور على طريق ثالث للمصالحة بين شعرية الحب ونثرية العدالة؛ أي بين الترنيمة والقاعدة. لذلك يقدم ريكور مفهوم اقتصاد الهبة*؛ أي أنَّ حب القريب وحب العدو يقوم على منطق الفيض، العطاء بلا حدود، ودون مقابل. في حين أن قاعدة العدالة إنما تقوم على منطق التكافؤ؛ أي معاملة الناس بالمثل فمن خلال ترنيمة الحب الفوق أخلاقية والتي تتجاوز قدرات البشر حوَّل القاعدة من أن تكون قاعدة نفعية قابلة للصياغة في أعطيني لأني أعطيتك. وعلى المبالغة الشعرية لترنيمة الحب أن تصحح مسار القاعدة الذهبية للعدالة وتحرسها من التحول إلى منطق للنفعية والابتزاز المبتذل. ثمة إذن مقصد ايتقي عميق في صلب الاستعارة الشعرية لوصية الحب الفوق اخلاقية من أجل تصحيح قاعدة العدالة ضد ميلها النفعي. وهكذا يصبح الحديث عن نوع من الفعل التآزري والتعاضدي للحب والعدالة، وعدم بقاء العدالة ضمن فكرتها الجامدة التي بقيت طويلاً في التاريخ الفلسفي، أي بمعناها الاقتصادي النفعي التي لا يمكن أن تظل كما هي، فلا بد أن تكون منفتحة دائماً على أفق التغيير الذي يأتيها من الحب والذي هو عطية مجانية، لا يخضع إلى أي حساب، وفي هذا الصدد يصرح ريكور قائلاً:" كم من الأفكار الدوغمائية قد حبست نفسها في منطق التبادلية: النعمة في البداية، بل حتى النعمة وحدها، أو المبادرة الإنسانية أولاً. الطريق تصبح مسدودة تماماً بعد دخول العلة السابقة أو العلة المساعدة أو السيدة أو أي علة أحرى إلى الحلبة" [4]. علاوة على ذلك فإن" الحب فوق أخلاقي لا يلج دائرة الممارسة إلا تحت مظلة العدالة. وهكذا يتحقق ضرب من التوافق بين الحب والعدالة، أي بين منطق الفيض ومنطق التكافؤ بما هو مهمة للفيلسوف ورجل اللاهوت معاً. وكل ذلك من أجل ابراز روح الرأفة والسخاء والتسامح في قوانينا، أي جعل العدالة انصافاً للاهوت والفلسفة. لذلك لجأ ريكور إلى الهرميونطيقا من أجل استعادة تأويلية لمفهوم الحب المسيحي والكشف عن التوترات الايجابية المتضمنة في النصوص وإعادة النظر والكشف عن المعاني الأصلية التي

---

[1]- ريكور، بول، *الحب والعدالة*. (مصدر سبق ذكره)، ص.14.

[2]-The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and evil,p.33.. Dierckxsens, Geoffrey

[3] - ريكور، بول، *الحب والعدالة*. (مصدر سبق ذكره)،ص.14.

*** مفهوم فلسفي مرتبط بالفعل action. وهو يطلق على حركة ومنظمات اجتماعية يقوم فيها الأفراد ببذل عطايا وهبات دون انتظار مُقابل ما هو آتٍ أو مستقبلي، وقد أصبح المفهوم منتشراً في الأدبيات الاقتصادية وعدا فرعاً من العلوم الاقتصادية ينصب على دراسة الهبة وتأثيره في العلاقات الاقتصادية.(ريكور، بول. الحب والعدالة، ص.20.)**

[4] ريكور، بول. *ذاكرة ،تاريخ، نسيان*.(مصدر سبق ذكره)، ص.710.

أفسدتها التأويلات المنحرفة للنص المقدس، وتندرج هذه التأويلية الريكورية لمفهوم الحب المسيحي ضمن حدود التبشير بالرؤية الإنجيلية للحب.

الاستنتاجات والتوصيات:

مما سبق نستطيع القول إن ريكور من خلال عودته إلى مفهوم الحب واستعادته هرميونطيقا إنما أكد على مسألة مهمة؛ وهي أن العدل لا يمكن اختزاله إلى مفهوم العدل التوزيعي للخيرات المادية، وإنما هنالك جوانب أخرى في حياة الأفراد والجماعات يجب أن تعامل معاملة عادلة. الأمر الذي دفع بول ريكور إلى الكشف عن الرؤية الإيجابية المتضمنة في النصوص المقدسة، من أجل تجاوز المعنى التقليدي المتمثل في إبراز العدالة كأنصاف بعيدا عن المنفعة. حيث يقدم ريكور رؤيته الجديدة لمفهوم العدالة ليبقي ضمن حدود التبشير بالرؤية الانجيلية للحب. وليؤكد أن المسيحية هي النص الأصلي الذي يمكن أن يبشر بالحب الكوني والذي يصل إلى حد محبة الاعداء. ولكن هذا الاهتمام بالحب لم يقف عند فكرة ريكور بل إن هناك من دعا إلى تعلمه، وإعادة اختراعه. إنه الحب القادر على إبداع الحياة وتغيرها كما أقترح المفكر الإيطالي أنطونيو نيغري، حب يتجاوز الدين، واللاهوت، والعولمة. أي الحب القائم على المغامرة والمخاطرة والمقاومة ضد حب الأمن والرفاهية.

المصادر والمراجع:.

1. ريكور، بول. *الحب والعدالة* . ط 1، ت: حسن الطالب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2013، 130صفحة.
2. ريكور، بول . *الاعتقاد والانتقاد* ، ط 1، ت: حسن العمراني، دار توبقال للنشر، دار البيضاء، 2011، 118صفحة.
3. ريكور، بول. *الذاكرة، التاريخ، النسيان*. ط1، ت: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2009، 760 صفحة.
4. ريكور، بول . *نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى* . ط 2، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2006، 160صفحة.
5. ريكور، بول . *الذات عينها كآخر*. ت: جورج زيناتي، ط 1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، 719صفحة.
6. ريكور، بول. *فلسفة الإرادة الإنسان الخطاء*. ط2،ت: عدنان نجيب الدين ، المركز الثقافي العربي، 2008، 256صفحة.
7. ريكور، بول. *بعد طول تأمل*. ط1،ت: عمر مهبيل ، منشورات الاختلاف،2006، 150صفحة.
8. رولز، جون. *نظرية في العدالة"*. ت: ليلى الطويل، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 2011. 706صفحة.
9. Dierckxsens,Geoffrey. The Ambiguity of Justice: Paul Ricoeur on Universalism and Evil, University of Antwerp, http://ricoeur.pitt.edu ,p20.